بلاغة الاقناع في شعر ابن هانئ الاندلسي

- التشبيه انموذجا -

حسين علي حسين زيارة السعدي

أ.د علي كاظم محمد علي المصلاوي

المستخلص :

كشفت هذه الدراسة عن الجهود الإقناعية التي بذلها ابن هانئ الاندلسي و تسليط الضوء على آلية التشبيه التي استخدمها للوصول بالمتلقي الى الإقناع من خلال خطابه الشعري و الحفاظ على الجودة الشعرية العالية و الحفاظ على القيم الجمالية ، و قد وظَّف أبن هانئ الاندلسي التشبيه في خدمة العملية الإقناعية من خلال استثمار القيمة الجمالية للتشبيه و قدرته الإقناعية الكامنة ، كما استخدم انواعا مختلفة من التشبيه للتأثير على المتلقي و فتح أمامه آفاقا واسعة في استنتاج العلائق بين طرفي التشبيه بمهارة عالية ، و كان لابد من الاخذ بنظر الاعتبار عقيدة الشاعر ، فمَن أراد محاكمة ابن هانئ فلا بُد له من فهم عقيدته أولا ، و بالفعل فقد حمل شعره أفكار العقيدة الاسماعيلية و إننا حين نرجع إلى ديوان هذا الشاعر نجد أنه كان على علم واسع بالدين و إذا تأملنا البيئة الفاطمية والمعزية وحدها التي صادفت عصر الشاعر والتي كانت تسودها الفلسفات المتضاربة ، والمناقشات الدينية و العلمية الكثيرة، علمنا أن ابن هانئ قد درس الدين دراسة توجته بالصلاح والتقوى، وجعلته يعرض تمام الإعراض عن الرذائل التي تلطخ قدسية معتنقه حتى ان الشاعر ترفع عن الهجاء احتراما للمسؤولية التي تطوع للتصدي لها ، و هذا دليل على انه كان مخلصا في عقيدته و ليس مجرد متكسب من المعز الفاطمي .

Abstract:

This study revealed the persuasive efforts made by Ibn Hani Al-Andalusi and shed light on the analogy mechanism that he used to reach the recipient to persuasion through his poetic discourse and to maintain high poetic quality and preserve aesthetic values. By investing in the aesthetic value of the analogy and its latent persuasive ability, he also used different types of analogy to influence the recipient and opened up wide horizons for him in deducing the relationships between the two sides of the analogy with high skill. He had to understand his creed first, and indeed his poetry carried the ideas of the Ismaili creed, and when we return to the Diwan of this poet, we find that he was well-acquainted with the religion. We learned that Ibn Hani had studied religion, a study that crowned him with righteousness and piety, and made him completely reject the vices that taint the sanctity of his devotee, to the extent that the poet raised He spelled out of respect for the responsibility that he volunteered to address, and this is evidence that he was sincere in his faith and not just a profiteer from the Fatimid al-Muizz.

توطئة :

مما لا شك فيه أن البلاغة احتلت مكانةً مهمةً في الأدب العربي بشكلٍ عام و في الشعر بشكل خاص ، و ذلك لما يعتمد عليه الشعر من أساليبٍ بلاغية و صور مجازية تعمل على خلق الإيماءات المتناسقة و لغة الشعر القائمة على التكثيف اللغوي او الإيجاز الذي ينطوي على الاشارة الى المعاني تلميحا أو تكنية أو مجازا .

و إن شاعرا كابن هانئ الاندلسي الذي كرَّس طاقته الشعرية في خدمة البلاط الفاطمي و الدفاع عن عقيدة البلاط التي يعتنقها هو شخصيا لم يكن مضطرا للاعتماد بشكل أساس على الإيحاء والتلميح والإيجاز في عرض الأفكار والقضايا فكانت لديه مساحة مفتوحة من الحرية و كان مُخيرا بين التصريح و التلميح و انعكست هذه الحرية في شعره فاستعمل الفنون البلاغية لغاياته الإقناعية بكل اريحية ، و قد حرص على ضمان التأثير في المتلقي و إقناعه من خلال إحكام سبك شعره بصياغات شعرية في أبلغ صورة و أوجزها تحاشيا لتشتيت ذهن المتلقي .

تُساهِم الاليات البلاغية – و من ضمنها التشبيه - في إكساب النص قيمة جمالية كبيرة تُغذي الجانب الإمتاعي للنص و لكن هذا لا يُلغي قيمتها الحجاجية الاقناعية بل على العكس من حيث انها تُعبِّر عن الحجج الاقناعية بطريقة مركزة مع جعلها أكثر تأثيرا و إصابة [١] ، و هذا ما تؤيده البلاغة الجديدة اليوم حيث يراها بيرلمان على أنها مجموعة من التقنيات الموجهة الى إقناع المتلقي أو الرأي العام [٢] و يرى روس ان " **الصور البلاغية هي عملية اسلوبية تنشط الخطاب ، و لها وظيفة إقناعية** " [٣] ذلك أن " **الصور و الأساليب البلاغية هي تقنيات تستدعيها جمالية الإيصال و التلقي** " [٤] ، اذن " **فالصورة تُعد حجاجية اذا كانت ذات آثار انفعالية ، أي أن تحرك في المتقبل مشاعر معينة و بالتالي تحمله على تبني قناعة ما و إظهار استعداد للسير في الطريق التي رسمها المتحدث** " [٥] أي يجب ان ينبي على الصورة البلاغية أثر في نفس المتلقي و سلوكه و من هنا نستطيع أن " **نستنتج أن البلاغة قد تؤثر و تميل و تمتع ، و لكنها لا تقنِع و تفخم الا اذا تلاحمت مع الحجج العقلية ... كما ان الحجاج لا يجد عناصره الاساسية الا في المعاني البلاغية كأدوات إقناعية لذلك يصح القول بأن الحجاج البلاغي هو حجاج موجه للقلب و العقل معا** " [٦] حيث يدخل المتلقي في حالة من النشاط العاطفي العقلي التفاعلي الذي بدوره يُنتج الاثر الخارجي عنده لأن " **الصورة الفنية تدفع المتلقي دفعا نحو الاسهام في انتاج الدلالة التي تسد الشاغر ، فالغاية من سوق الصورة هو الاقناع بواسطة الشكل و المادة معا** " [٧] .

و في المراحل التالية ستتناول الدراسة نبذة عن حياة الشاعر مع بيان القدرة الإقناعية لإسلوب التشبيه في شعر الشاعر.

ابن هانئ الأندلسي :

هو أبو القاسم محمد بن هانئ بن سعدون الأزدي الالبيري الغرناطي الأندلسي المغربي [٨] ، قيل أنه ولد سنة ٣٢٠ ه أو ٣٢٦ ه و الثانية هي الاشهر و الأدق[٩] ، في قرية اسمها (سكون) و هي من قرى اشبيلية ، و كان ابوه شاعرا و اديبا من قرية من قرى المهدية بتونس وهاجر الى اشبيلية و قد أحسن تربيته فنال حظا طيبا من الثقافة و اتم تعليمه بقرطبة و مرت حياته بثلاث مراحل **فالمرحلة الاولى** يلفها الغموض فلا نجد ذكرا لطفولته و لا شعرا ينم عن تدرج مقدرته الفنية اثناء تعلمه ! و قد " **أزعجه أهل الأندلس واضطروه إلى الخروج من وطنه ، و أشار عليه صاحب إشبيلية بذلك درءاً للفتنة** " [١٠] و لا توضح المصادر أكثر مما ذكره ياقوت الحموي أما **المرحلة الثانية** فتبدأ بهجرته الى المغرب العربي و اتصاله بالقادة والولاة حتى ذاع صيته فبدأت **المرحلة الثالثة** حينما طلبه المعز لدين الله الفاطمي فوجد كل واحد منهما ضالته في الآخر ، و اختص بمدح المعز الفاطمي و رجال دولته ، وعُرفت قصائده التي مدح فيها المُعز بـ (**المُعزيِّات**) على غرار (**الهاشميات**) للكميت و (**الروميات**) لأبي فراس الحمداني و (**السيفيات**) و (**الكافوريات**) للمتنبي و لربما كانت هذه القصائد من الأسباب المباشرة لقتله بزعم ما انطوت عليه من الكفر والإلحاد و الغلو في مديح المعز، وُجِدَ مقتولا سنة ٣٦٢ ه و في كيفية قتله و مَن وراءه ؟ خلاف كبير تناولته المصادر بتفصيلات كثيرة دون ترجيح واضح لهوية القاتل الا انهم يتفقون على ان تشيعه و عدائه لبني امية سبب مهم لقتله[١١].

- **أهم آراء النقاد فيه :**

لقد تضاربت آراء النقاد في ابن هانئ الاندلسي و شعره ، فمنهم مَن ساوى به الثريا و منهم مَن أنزله للثرى و لكن الحقيقة تكمن في النظر للدوافع التي دفعت كل واحد منهم لرأيه ، فمنهم مَن نظر للقيمة الفنية لشعره فحكم حكما أدبيا حسبما يراه ، و منهم مَن نظر الى شخصه و لعقيدته تحديدا فجاء حكمه دينيا و لكنه انسحب على الجانب الفني الادبي عند الشاعر ، ثم جـــــــــاء من يأخذ عنهم فنقل دون النظر الى أصل الاحكام ، و هنا حدث الخلط ! و لكن لو أمعنَّا النظر قليلاً لتوضحت الامور ، لننظر مثلا الى قول ابن شرف القيرواني (ت ٥٤٢ ه) في ابن هانئ الاندلسي بانه **" رجل يستعين على صالح دنياه بفســـاد أخراه لرداءة عقله ورقة دينه، و ضعف يقينه ، و لو عقل لم تضق عليه معاني الشعر حتى يستعين عليها بالكفر "** [١٢] و هنا يتجلى **" الأثر الأخلاقي الديني الذي تركته عقيدة ابن شرف المخالفة لعقيدة ابن هانئ في حكمه السابق؛ إذ إنه لم يحكم عليه حكما فنيًا نابعا من دراسة متعمقة لنصوصــه، بل أنه تأثر بما أودعه ابن هانئ من قيم و أفكار عقائدية خاصـــة بالمذهب الفاطمي الذي يخالف مذهب ابن شرف مما دفعه للحكم بالسلب على منهج الشاعر في مدحه لا على نتاجه ، و قد تبنى رأي ابن شرف سابق الذكر غير واحد من الدارسين القدماء، و نقلوا حكمه في شعر ابن هانئ الذي استند فيه إلى معيار أخلاقي عقدي "** [١٣] ثم يمضي الكاتب استعراض جملة من الأحكام التي سايرت حكم ابن شرف القيرواني ، و لكن لو دققنا النظر في قول ابن شرف القيرواني لوجدناه يقول قبل كلامه المذكور آنفا ما نَصُّه : **" نجدي الكلام، سردي النظام، إلّا أنه إذا ظهرت معانيه، في جزالة مبانيه، رمى عن منجنيق لا يؤثر في النّفيق "** [١٤] فابن شرف ذكر رأيا فنيا أشاد فيه بجودة شعر الشاعر و أظهر اعجابه به و بيَّن مدى قوته ثُم دفعه تحامله المذهبي على النيل من ابن هانئ الاندلسي بعدها أو ربما يكون خاف على نفسه من اللوم و النقد – و ربما يلقى نفس مصيره ان تعاطف معه - من ابناء مذهبه و دولته فكأنه استدرك و تبرأ منه ! و هذا دليل على قوة شعر ابن هانئ الاندلسي إذ يُشيد بشعره المُخالف قبل المؤالف و يتبين لنا من خلال ذلك أن الشاعر تمكن من اقناع اعدائه بقدرته الفنية على الاقل ، و هذه واحدة من الاسباب الموجبة لدراسة شعره من الناحية الإقناعية ، و من جملة مَن ذكر الشاعر ابن خاقان (ت ٥٢٩ ه) ، اذ يقول : **" عِلقٌ خطيـــــر ، وروض أدبٍ مَطير، غـــــاص في طلب الغريب حتـــى أخرج دُرَّه المَكنون ، و بهرج بافتنانه كل الفُنون ، و له نَظم تتمنّى الثُّريا أن تُتوَّج به و تتقلّد ، و يودّ البدر أن يكتبَ فيه ما اخترع و ولّد ، زهت به الأندلس و تاهت و حاسنت ببدائعه الأشمس وباهت فحسد المغرب فيه المَشرق ، و غصّ به من بالعراق و شَرق ، غير أنه نبت به أكنافُها ، و شَمخت عليه أنافُها ، وبرئت منه ، و زوى الخير فيها عنه ، لأنه سَلك مسلك المعرّي ، و تجرّد من التديّن وعُرِّي ، وأبدى الغُلُوَّ ، و تعدَّى الحقَّ المَجلُوَّ... و أمّا تشبيهاته فخرق فيها المُعتاد ، و ما شاء منها اقتاد ، و قد أثبتّ له ما تحنّ له الأسماعُ ، و لا تتمكّن منه الأطماع "** [١٥] و تقول الدراسة في هذا القول مثل القول في سابقه ، ففيه إشادة قوية مفصلة بقدرة الشاعر و قوة خياله و قدرته التصويرية ، مع ذلك فقد ظهر في كلامه تحامل مذهبي لا يَمُت للجوانب الفنية بصلة ، و لكن المُلفت قوله (**سَلك مسلك المعرّي**) و هذه اشارة مهمة للجانب الفلسفي و ما يقتضيه من وجود المنحى الإقناعي في شعر ابن هانئ الاندلسي و هذا ما تكفلت بكشفه هذه الدراسة ، و ذكره ابن شداد القيرواني (كان موجودا سنة ٦٠٠ ه) **" صاحب كتاب (الجمع و البيان) المفقود و هو حكم يُلقي التبعية ، لا على الشاعر ، بل على المعز ، الذي يُشجع شعراءه على هذا الإفراط و يستزيدهم منه "** [١٦] و ابن شداد هذا هو **" عبد العزيز بن شداد... القيرواني ... و تاريخه ضد العبيديين استفاد منه من جاء من بعده كابن خلكان، و ابن الأثير، والتجاني في(الرحلة) و المقريزي ، و النويري ، و هو مفقود "** [١٧] و السبب في القائه اللوم على المعز الفاطمي واضح و هو عدائه المذهبي للدولة الفاطمية كما تقدم و هو من الآراء المتطرفة ، و لكنه يثبت اهتمام المعز الفاطمي بالشعر بصورة عامة و إدراكه لقيمة الشعر و الشعراء و بلا شك ان ابن هانئ الاندلسي كان ذكيا كفاية ليُدرك أهداف المعز الفاطمي فسخر في خدمتها نفسه و شعره فكان شعره الصوت الرسمي للدولة الفاطمية حاملا افكارها و معتقداتها و يعمل على اقناع الآخرين بها ، و ذكره ياقوت الحموي **(ت ٦٢٦ هـ) بقوله : " أديب شاعر مفلق ، أشعر المتقدمين و المتأخـــرين من المغاربة ، وهو عندهم كالمتنبي عند أهل المشرق ... و نال حظا واسعا من علوم الأدب وفنونه ، وبرز في الشعر فلم يباره في حلبته مُبار ولم يشقّ غباره لاحق ، وكان متهما بالفلسفة يسلك في أقواله و أشعاره مسلك المعري ، وما زال يغلو في ذلك حتى تعدّى الحقّ وخرج في غلوه إلى ما لا وجه له في التأويل "** [١٨] و كما هو واضح فإن رأي ياقوت الحموي لا يخلف عن رأي ابن خاقان فيه ، و يؤكد على المنحى

الفلسفي الذي يستدعي الحجاج و من ثم الاقناع ، و من المهم الاشارة الى ان هذا المنحى الفلسفي العقلي لم يُقلل من المستوى الفني للشاعر حسب شهادات القوم فيه مما يُدلل مرة أُخرى على تمكن الشاعر من استعمال أدواته العقلية مع الحفاظ على مستوى عالٍ من الجمالية بحيث يفرض نفسه على النقاد حتى مع اختلافه معهم عقائديا ، و قد أبدى ابن دحية الكلبي (ت٦٣٣ه) تحاملا كبيرا على ابن هانئ الاندلسي حين قال عنه :" **وإن كان قبيح الغلو ، شهير الاستهتار، فربما صدرت عنه درر تلحقه بالشعراء الكبار** " [١٩] و مع ذلك لم يستطع الا الحاقه بالشعراء الكبار ، و ذكره ابن خلكان (ت ٦٨١ ه) ، اذ يقول : " **وديوانه كبير و لولا ما فيه من الغلو في المدح و الإفراط المفضي إلى الكفر لكان من أحسن الدواوين و ليس في المغاربة من هو في طبقته لا من متقدميهم و لا من متأخريهم بل هو اشعرهم على الإطلاق و هو عندهم كالمتنبي عند المشارقة وكانا متعاصرين** " [٢٠] و نجده يُساوي ابن هانئ الاندلسي بالمتنبي من حيث المستوى الفني و يجعله متفردا بأعلى طبقة شعرية بالنسبة للشعراء المغاربة و مع ذلك يظهر أثر الاختلاف المذهبي جليا إذ يقترب بالشاعر من الكفر في تقييمه ، و ذكره الذهبي (ت ٧٤٨ ه) ، اذ يقول : " **و كان حافظا لأشعار العرب و أيامها ، لكنه فاسق خمير يتهم بدين الفلاسفة ... و ديوانه كبير ، و فيه مدائح ، تفضي به إلى الكفر ، و هو من نظراء المتنبي** " [٢١] و لا يختلف الذهبي عن غيره في تعصبه المذهبي و لكن ما يهمنا في قوله بالإضافة لإقراره بشعرية ابن هانئ الاندلسي و عظمة مكانته انه يؤكد على وجود المنحى الفلسفي في شعره و هذا نابع من المسلك الإقناعي في شعره ، و لا يختلف موقف ابن كثير (ت ٧٧٤ ه) عن موقف اللائمين كثيرا ، اذ يقول : " **وقد كان قويَّ النَّظْمِ إِلَّا أَنَّهُ كَفَّرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ من العلماء في مبالغته في مدحه الخلق** " [٢٢] ، و قد أشادابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) بالشاعر و مدحه في أكثر من موضع في مؤلفاته و منها قوله " **كان من فحول الشعراء ، و أمثال النظم، و برهان البلاغة ، لا يدرك شأوه ، و لا يشقّ غباره ، مع المشاركة في العلوم ، و النفوذ في فكّ المعمّى** " [٢٣] ، أما قول أَبُي الْعَلَاء المعري عَن شعره " **هُوَ بعر مفضض وَ إذا سَمعه يَقُول رحى تطحن قروناً** " [٢٤] فقد أفردته الدراسة لأنه لا يدخل ضمن التعصب الديني و انما يندرج تحت باب التعصب الشخصي من شاعرٍ تجاه شاعرٍ آخر " **لأجل القعقعة التي في الفاظه ، و يزعم انه لا طائل تحت تلك الالفاظ** " [٢٥] فهو رأي يخص المعري وحده[٢٦] .

نكتفي بهذا القدر من الأمثلة على شهادات النقاد القدماء [٢٧] فالقائمة تطول و كلها تشيد بقدرته الفنية حتى و ان هاجمت معتقده ! و هذا طبيعي بالنسبة لشاعر وقف شعره لخدمه معتقده و حاول بشتى الطرق إقناع العالم بأحقيته فتضمن شعره حججا و وسائل إقناعية تشكلت منها مادة هذه الدراسة ، و يظهر أن تضارب الآراء في الشاعر لم يقتصر على آراء القدماء فقط بل امتد ليشمل أراء المُحْدَثِين فيه كذلك ، إذ يقول الدكتور عارف تامر " **ان شعر ابن هانئ قد طُبع بطابع العصر و ذخر بصور تُظهر هذا الواقع و تبرزه بأجلى مظهر ، و لنا من حروب المعز لدين الله مع الروم و استيلائه على بلادهم دليل واضح** " [٢٨] ثم يأتي الدكتور منير ناجي فيقول : " **و هذه الآراء ترينا اختلاف القدماء بالنظر لشعر ابن هاني ، و الواقع ان هذا الشاعر لم تؤثر فيه تطورات الحضارة، و لم يحتذبه جمال الاندلس الطبيعي ، و صفاء سمائها ، بل بقى يجوب بمخيلته الجزيرة العربية ؛ و يقطع فيافيها ، تحرقه شمسها و تلهب اقدامه رمالها ، يرى غزلانها ، و يؤخذ بآرامها و ينظر الى عقبانها و نسورها ، و يتحدث عن ابلها وخيلها ، و هو لذلك لم يكن ابن بيئته ، بل كان يعيش في قرون سابقة ، و لم تظهر عنده معارف القرن الرابع الهجري بثقافاته المختلفة ... و لذا لا يمكننا ان نعتبر شعر ابن هانى صورة واقعية لبيئته ، على الرغم من بعض الانعكاسات البيئية من الناحية الاجتماعية ، فان الصورة التي نستخلصها من شعره لا تساير روح العصر الذي عاش فيه** " [٢٩] فبعد أن يذكر اختلاف القدماء في الشاعر يسرد رأيه فيه و لكن هذا الرأي نفسه لم يسلم من الاختلاف مع رأي الدكتور عارف تامر ، و ترى هذه الدراسة أن كلا الكاتبين قد ركز على جوانب معينة في شعر ابن هانئ الاندلسي فأصدر حُكما خاصا بهذه الجوانب ثم توهم فعمم الحكم على كل شعره ، فمن يُطالع شعر ابن هانئ الاندلسي يجد فيه وصفا لحروب المعز الفاطمي و يرى تصويرا واقعيا للحياة في ذلك الوقت مثل وصف الاسلحة و السفن الحديثة آنذاك ، و كذلك يجد في شعره قصائدا تعمد الشاعر بنائها على نمط الشعر العربي القديم فاستلهم صورها و اخيلتها و معانيها حتى يتوهم المتلقي بان الزمن قد توقف عند الشاعر ، اذن فقد شمل شعره كلا الجانبين و لم يقتصر على جانب منهما ، و التفت عدد من الدارسين للنبرة الخطابية في شعره التي تستهدف إقناع الآخرين بمشروعية الدولة الفاطمية التي كان يُدافع عنها بكل الوسائل المتاحة أمامه حتى قال الدكتور منير ناجي : " **ما كنت لا تحدث عن الاسماعيلية لولا اني اعتبرها الاطار الروحي الذي تحرك فيه الشاعر ... وان تعاليم هذا المذهب لتبدو واضحة في شعره حتى قيل ان**

ديوانه خير ما يمثل هذه الفكرة من الكتب الاسماعيلية التي بين ايدينا و اني لا انكر اني شعرت ، وانا اقرأ ديوان ابن هانيء، اني امام افكار جديدة لم آلفها من قبل ، ولم اجد لها تفسيرا مرضيا الا في تعاليم الاسماعيلية يوم عدت الى هذه التعاليم احاول على ضوئها تفسير افكار ابن هانيء ... و من ثم انتهيت الى التقدمة لدراسة الشاعر هذا المذهب ... حتى يكون بمقدورنا تفهم الشاعر تفهما ارجو ان يكون كاملا ... حاولت الحصول على بعض المصادر الاسماعيلية " [٣٠]

التشبيـــه :

اخذ التشبيه حيزا واسعا في البحث البلاغي عند العرب قديما و حديثا، يوضحه السكاكي بقوله **" لا يخفى عليك أن التشبيه مستدع طرفين مشبهاً ومشبهاً به واشتراكاً بينهما من وجه وافتراقا من آخر مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو بالعكس فالأول كالإنسانين إذا اختلفا صفة طولا وقصرا، والثاني كالطويلين إذا اختلفا حقيقة إنساناً وفرساً وإلا فأنت خبير بأن ارتفاع الاختلاف من جميع الوجوه حتى التعين يأبى التعدد فيبطل التشبيه لأن تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفا له بمشاركته المشبه به في أمر والشيء لا يتصف بنفسه "** [٣١] ، و يعمل التشبيه على إشغال ذهن المتلقي بالمقارنة بين المشبه و المشبه به (طرفا التشبيه) من اجل ايجاد الروابط العقلية التي تشكل وجه الشبه بين المشبه و المشبه منه ، و جعل المُتلقي يُركز على البحث عن غرض الشاعر من هذا الربط ، ذلك أن **" البلاغة نشأت مرتبطة ارتباطا وثيقا بفكرة المقاصد "** [٣٢] ، و على المتلقي ان يحلل الرسالة و يستوعبها شكلا و مضمونا ، لذلك فكلما زادت المسافة بين المشبه و المشبه به و زاد التباين بينهما كلما **" كانت الى النفوس أعجب ، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب "** [٣٣] ، من هنا ندرك أهمية هذه العلائق التشبيهية بين طرفي التشبيه و التي يستثمرها المُرسِل في تقريب الصورة للمتلقي عن طريق لفت الانتباه الى موضع الشبه و حصر المعاني في حيزٍ قابلٍ لفتح الحدود أمام المتلقي و إقناعه من خلال إدراج الصورةِ التشبيهية كمؤثر عقلي يحث المتلقي على الاقتناع بفكرة المرسِل ذلك أن قيمة التشبيه مُكتسبة من الموقف التعبيري [٣٤] ، فحين يستعمل المُرسِل القوة التصويرية للتشبيه كوسيلة إقناعية فانه يتخطى بذلك الوظيفة الإمتاعية للصورة التشبيهية ، و هذا ما عبر عنه عبد القاهر الجرجاني حينما قال بأن **" التشبيه قياس ، و القياس يجري فيما تعيه القلوب ، و تُدركه العقول ، و تُستَفْتَى فيه الافهام و الاذهان ، لا الاسماع و الآذان "** [٣٥] و هنا يفتح التشبيه آفاقا حجاجية اضافية للمُرسل يستعين به على اعادة تشكيل الفكرة بسمات جديدة معززة لإعادة بناء الواقع من خلال ايجاد علاقات يقول عنها بيرلمان **" ما كان لها ان تكون مترابطة "** [٣٦] لولا القدرة الإقناعية للتشبيه و ذلك لأن التشبيه **" ليس حلية أو زينة لفظية بل هو يعبر عن النفس ، و يصور ما يدور في الخاطر و العقل ، و يقرب المسافات بين ما هو محسوس و ما هو ملموس ، فيجعل العقل يقبل العلاقات القائمة بين الاشياء ، بل قد يقيم علاقات يأبى العقل ان يقبلها ، فيجعل العقل يسلم بها و يقرها لا لشيء الا لأنها اشتملت على طرافة و إبداع "** [٣٧] .

يتضح مما تقدم ان للتشبيه تأثيره النفسي و العقلي على المتلقي فهو يقدم للمتلقي صورا جمالية يحاول بها اقناعه بأمرٍ ما عبر هذا التشبيه أو ذاك **" على أنه دليل أقوى لصالح النتيجة المتوخاة، و هذه الخاصية**

المميزة للقول التشبيهي " [٣٨] هي التي أكسبت التشبيه قدرته على الاقناع ، و من التشبيهات الواردة في شعر ابن هانئ الاندلسي قوله في مدح المعز الفاطمي [٣٩] :

[من الكامل]

أوتِيتَ فَضْلَ خِلافَةٍ كنُبُوّةٍ و نُجِيَّ إلهامٍ كوَحْيٍ يُوحَى

في البيت الشعري تشبيهان من نفس النوع (**تشبيه تام**) و يستخدم فيهما نفس حرف التشبيه (الكاف) ، ففي الشطر الأول يُشبِّه الشاعر خلافة المعز الفاطمي بأنها مثل النبوة و ابن هانئ الاندلسي لا يفوت فرصة للتذكير بمسألة الوراثة و قرابة المعز الفاطمي من النبي الاكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) و لو كانت بطريقة غير مُباشرة و لكنها تصل للمتلقي من خلال مُعطيات الموقف التعبيري (**النبي الاكرم - النبوة + المعز**

الفاطمي – الخلافة = حق مُكتسب بالوراثة) الذي يُعطي قيمةُ مكتسبة للتشبيه بجعل المتلقي يفكر فيها تلقائيا [٤٠] ، و يشير ابن هانئ الاندلسي من خلال هذا البيت الى قوله تعالى **" وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ الصَّلاَةِ وَ إِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَ كَانُوا لَنَا عَابِدِينَ "** [٤١] فالله جل جلاله هو من يختار الامام و يلهمه فعل الخير و **اذا نظرنا للتشبيه الأول الوارد في البيت الشعري يقول فيه الشاعر بأن الخلافة مثل النبوة** ، يهبها الباري لمن يختارهم فهي **(اختيار بالنص)** و ليست **(انتخاب)** و هذا من اهم مرتكزات تعيين الامام عند الشيعة بصورة عامة [٤٢] ، فالمشبه هو خلافة المعز الفاطمي و المشبه به هو النبوة و وجه التشبيه انهما يأتيان بالاختيار الالهي و ليس بالشورى و اداة التشبيه هي الكاف و هو رابط الحجاجي يربط بين خلافة المعز الفاطمي و النبوة فخلافة المعز كالنبوة و من المألوف عند المتلقي ان لا يجادل في نبوة النبي الاكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) فتقوم عليه الحجة و بذلك يتحقق الاقناع ، و اذا نظرنا في الشطر الثاني من البيت **(و نَجيَّ إلهامٍ كوَحْيِ يُوحَى)** ، نجد المشبه هو الالهام الذي يتلقاه الخليفة و المشبه به هو الوحي ، و وجه الشبه كلاهما من الله سبحانه و تعالى كدليل على شرعية الحكم و الحاكم و كسب اذعان المتلقي على هذا الاساس ، و حرف التشبيه هو الكاف و هو رابط حجاجي يجعل كلام الخليفة مثل كلام النبوة فلا بُد من طاعته و التسليم له ، و اذا نظرنا الى مجمل البيت بصورة عامة نجد استمرارية التشبيه تخلق نوعا من التشبيه التمثيلي فيتمثل المعز الفاطمي بصورة النبي الاكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) وهذه الصورة مألوفة عند المتلقي فهو ابنه و امتداده الطبيعي فيسلم و يذعن و هنا يتحقق الاقناع ، اذن فقد استخدم ابن هانئ الاندلسي سُلَّما حجاجيا يستميل من خلاله المتلقي و يعمل على اقناعه من خلاله ، و هذا السُّلَّم يتضح كما يلي : (**شكل رقم (١)**).

و يستخدم ابن هانئ التشبيه المقلوب **الذي " هو جعل المشبه مشبها به بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر "** [٤٣] ، فيقول في مدح جعفر بن علي [٤٤] :

[من المُتقارب]

فأشبَهَكَ البَحْرُ إن قِيلَ ذا ... غِطمٌّ وهَذا جَـــــــوادٌ خِضَمّ

وأخطأكَ الشّبْهُ إنْ قِيلَ ذا ... أجـــــــاجٌ وهذا فُراتٌ شَبِم

إذا لم يكُنْ مَنْهَلاً للوُرُودِ ... فلا خَيرَ في مَوجِهِ المُلتَطِم

أراد إقناع المتلقي بنسبة الكرم الى ممدوحه فاستعمل التشبيه المقلوب لما فيه من تقوية للماثلة و تأكيد على وجه الشبه [٤٥] ، فأن البحر معروف عند المتلقي بالسعة و العطاء الوفير و من هنا يجعل المتلقي يقيس الممدوح على البحر فيستنتج عظمة قدره و عطائه ، فالعطاء الوفير لا يقدر عليه الا من كان ذو سعة و مكانة ، فالممدوح هو المشبه و لكنه جعله مشبها به لإثارة المتلقي و استفزاز مشاعره مما يجعله في حالة أقرب للاقتناع حينما يرى أن البحر بعظمته و هو المشبه به قد صـــار مشبها ! و وجه الشبه هو الكرم الواسع و هي صفة محببه الى نفس المتلقي و يميل اليها من ذاته ، و قد أكد الشاعر في البيتين التاليين على وجه الشبه كأنه يقول للمتلقي انتبه فإن سعة الكرم هي المقصودة و ليس الكرم الاعتيادي و دعم هذا المعنى بكون الممدوح أهل للكرم و هنا يفتح آفاقا كبيرة لخيال المتلقي مع دفعة كبيرة من الثقة و التأكيدات التي تولد الاقناع لدى المتلقي ، و أداة التشبيه هي الفعل (أشبه) على وزن (أفعل)[٤٦] و فيه من ما فيه من الايحاء بالمفاضلة و التفضيل ! فيدفع المتلقي لإطلاق خياله و التأمل في مدى كرم الممدوح و هكذا يحدث عنده الاقناع ، و بذلك نرى السلم الحجاجي في هذا التشبيه يرتسم بالشكل التالي : (**شكل رقم (٢)**) .

و من جميل استخدامه للتشبيه المقلوب ، قوله في جعفر بن علي [٤٧] :

[من الطويل]

كأنّ لِواءَ الشمسِ غُرَّةُ جعْفَرٍ رأى القِرْنَ فازدادتْ طلاقته ضِعفا

فالشاعر يشبه الشمس في انتصارها على الظلام و طلوعها في غرة النهار بغرة جعفر بن علي حين رأى الاعداء فاستبشر بقتالهم ، و هنا تقع المماثلة بشكل أقوى فطلوع الشمس و نصرها على الظلام مثل طلوع جعفر على اعدائه و في هذا استبشار بالنصر ، و لما كان النصر واقعا فعلا حين قال الشاعر قصيدته فهو تأكيد على ان النتيجة كانت محسومة منذ البداية و بما ان النصر امر واقع حينها فالمتلقي لا يملك الا الاذعان و التسليم و هنا يتجلى الاقناع ، و هكذا فقد وظّف أبن هانئ الاندلسي التشبيه في خدمة العملية الإقناعية مع من خلال استثمار القيمة الجمالية للتشبيه و قدرته الإقناعية الكامنة ، كما استخدم انواعا مختلفة من التشبيه للتأثير على المتلقي و فتح أمامه آفاقا واسعة في استنتاج العلائق بين طرفي التشبيه بمهارة عالية .

الاشكال :

١- شكل رقم (١) :

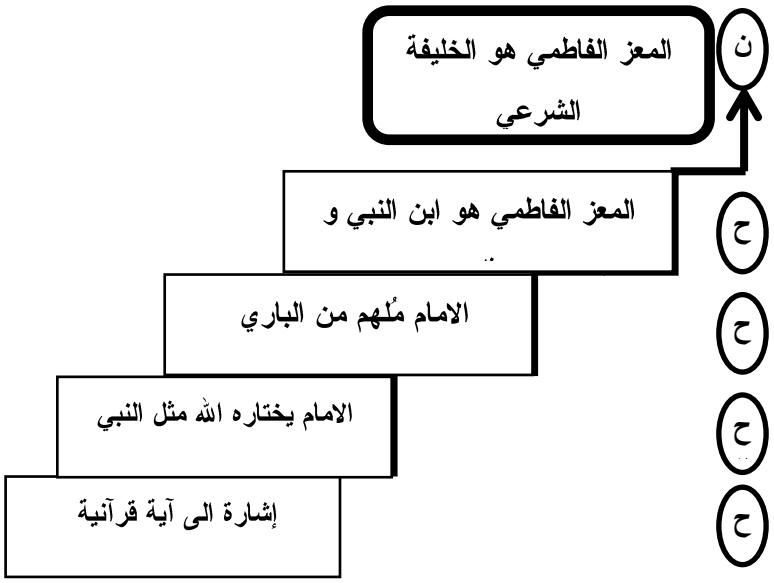

٢- شكل رقم (٢) :

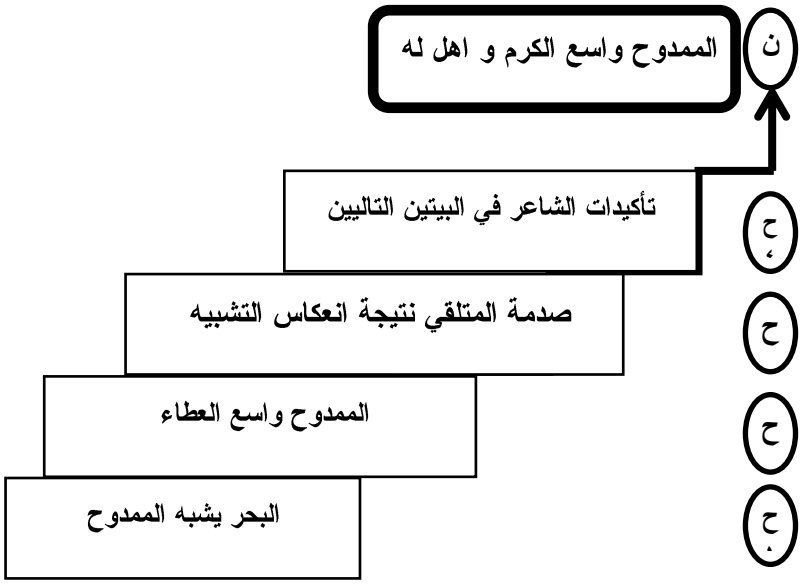

الحواشي :

(١) ينظر : استراتيجيات الخطاب ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٤ م : ٤٥٦ .

(٢) ينظر : من المنطق الى الحجاج ، الدكتور ابو بكر العزاوي ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، الاردن ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٦ م : ٤١ .

(٣) الخطاب الحجاجي انواعه و خصائصه ، هاجر مدقن ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب و العلوم الانسانية ، جامعة ورقلة ، ٢٠٠٣ م : ٤٢ .

(٤) المصدر نفسه : ٤٢ .

(٥) الحجاج و وسائله البلاغية في النثر العربي القديم : ١٣٤ .

(٦) المصدر نفسه : ١٣٥ .

(٧) (٧) المصدر نفسه : ١٣٦ .

(٨) ينظر : التكملة لكتاب الصلة المؤلف: ابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ) تحقيق: عبد السلام الهراس ، دار الفكر للطباعة ، لبنان ، (د . ط) ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م : ١ / ٢٩٥ .

و ترجم كذلك لأبيه هانئ بن محمد : ٤ / ١٤٧ .

و ينظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١ هـ) ، مطبعة بولاق ، مصر ، (د . ط) ، ١٨٨٢ م : ٢ / ٥ - ٧ .

و ينظر : الاحاطة في اخبار غرناطة ، لسان الدين ابو عبد الله محمد بن الخطيب (ت ٧٧٦ ه) ، مراجعة و تقديم و تعليق بوزياني الدراجي ، دار الامل للدراسات ، الجزائر ، ٢٠٠٩ م : ٢ / ٧٦١ .

و ينظر : ابن هانئ المغربي الاندلسي شاعر الدولة الفاطمية ، محمد اليعلاوي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ١٤٠٥ ه - ١٩٨٥ م : ١٠٧ - ١٤١ .

و قد ناقش محمد اليعلاوي أسباب عدم وجود ترجمة وافية لإبن هانئ الاندلسي من قبل معاصرية او ممن تلاه بقليل من المؤرخين و الادباء بشكل مستفيض و لم أتت اخباره متفرقة ؟ ثم يخلص الى أن اعتناقه المذهب الاسماعيلي حال دون الترجمة له و دفع الكتاب للتغاضي عنه و التحامل عليه بل و تعرضه لمحاولة طمس اخباره ، ينظر : ٧ - ٣٠ .

(٩) ينظر : ديوان ابن هانئ الأندلسي ، ابن هانئ الأندلسي ، اعتنى به و شرحه حمدو أحمد طمَّاس ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٢٦ ه - ٢٠٠٥ م : ٧ .

(١٠) معجم الادباء ارشاد الأريب الى معرفة الأديب ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحَمَوي الرومي (ت ٦٢٦ هـ)، تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٩٣م : ٦ / ٥٦٧ .

(١١) ينظر : الادب الاندلسي ، الدكتور سامي يوسف ابو زيد ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، عمّان ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٧ ه – ٢٠١٦ م : ١٧٢ – ١٧٣ .

(١٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بسَّام الشنتريني (ت ٥٤٢ ه) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، (د . ط) ، ١٤١٧ ه – ١٩٩٧ م : ٧ / ٢١٠ .

(١٣) ابن هانئ الاندلسي بين دارسيه القدماء و المُحْدَثِين ، عاد كامل صابر العبيدي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة كربلاء ، ٢٠١٣ م : ١٧٢ .

(١٤) الإحاطة في أخبار غرناطة : ٢/ ١٨٦ .

(١٥) مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان ابن عبد الله القيسي الإشبيلي (ت ٥٢٩ ه) ، تحقيق محمد علي شوابكة ، دار عمار – مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م : ٣٢٢ – ٣٢٣ .

(١٦) ابن هانئ المغربي الاندلسي شاعر الدولة الفاطمية : ٢٤١ .

(١٧) تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٤ م : ٣ / ١٥٠ .

(١٨) معجم الادباء : ٦ / ٥٦٧ .

(١٩) المُطرب من أشعار أهل المغرب ، أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي الشهير بابن دحية الكلبي (ت ٦٣٣ه) ، تحقيق : الأستاذ إبراهيم الأبياري ، الدكتور حامد عبد المجيد ، الدكتور أحمد أحمد بدوي ، راجعه : الدكتور طه حسين ، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، (د . ط) ، ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م : ١٩٢ .

(٢٠) وفيات الاعيان : ٤ / ٤٢٤ .

(٢١) سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م : ١٦ / ١٣٢ .

(٢٢) البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، دار الفكر ، (د . ط) ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م : ١١ / ٢٧٤ .

(٢٣) الإحاطة في أخبار غرناطة : ٢/ ١٨٧ .

(٢٤) الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، تحقيق أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، (١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م : 1 / ٢٦٠ .

(٢٥) ابن هانئ الاندلسي– درس و نقد–،الدكتور منير ناجي،دار النشر للجامعيين ، الطبعة الأولى ،١٩٦٢ م : ٢٧٤ .

(٢٦) و قد رده الصفدي بقوله : " وَ هَذَا من التعصب المفرط لِأَن شعره يرشف خندريساً و يكسف من أشعار غَيره شموساً " ، الوافي بالوفيات : ١ / ٢٦٠ .

(٢٧) للاستزادة ينظر : ابن هانئ الاندلسي بين دارسيه القدماء و المُحْدَثِين : ١٧٠ – ١٩٠ .

(٢٨) ابن هانئ الاندلسي متنبئ المغرب ، الدكتور عارف تامر ، دار الشروق الجديد ، بيروت ، الطبعة الثانية،١٩٦١ م : ١٤ .

(٢٩) ابن هانئ الاندلسي – درس و نقد – : ٢٧٤ .

(٣٠) ابن هانئ الاندلسي – درس و نقد – : ١٧ .

(٣١) مفتاح العلوم : ٣٣٢ .

(٣٢) الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي : ٦٤ .

(٣٣) اسرار البلاغة : ١١٨ .

(٣٤) ينظر : فلسفة البلاغة بين التقنية و التطور ، الدكتور رجاء عيد ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، مصر ، الطبعة الثانية ، (د . ت) : ١٧٥ .

(٣٥) المصدر نفسه : ٢٠ .

(٣٦) تجليات الحجاج في القران الكريم سورة يوسف – انموذجا – ، حياة دحمان ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة الحاج لخضر – باتنة – ، ١٤٣٤ ه – ٢٠١٣ م : ١٤٢ .

(٣٧) الحجاج و وسائله البلاغية في النثر العربي القديم : ١٣٧ .

(٣٨) الحجاج في الشعر العربي : ٢٦٤ .

(٣٩) تبيين المعاني : ١٦٠ .

(٤٠) ينظر : فلسفة البلاغة بين التقنية و التطور : ١٧٥ .

(٤١) سورة الأنبياء : ٧٣ .

(٤٢) ان الشاعر و ان كان اسماعيليا فان مسألة الامامة من المشتركات عند الشيعة ، و بالإمكان تلخيص عقيدة الشيعة في الإمامة بما يأتي :

-وجوب الإمامة على الله .

-وجوب النص على الإمام .

-وجوب عصمة الإمام .

- علم الإمام إلهام من الله .

-منزلة الإمام كمنزلة النبي باستثناء الوحي والكتاب .

و للاستزادة ، ينظر : الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣م : ١ / ٢٧٠ – ٢٧٥ .

(٤٣) علم البيان ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، (ب . ط) ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٢ م : ١ / ٩٥ .

(٤٤) تبيين المعاني : ٧١٠ .

(٤٥) علم البيان : ١ / ٩٥ .

(٤٦) ينظر : مبنى الصيغة ومعناها في النص القرآني- صيغة (أفعل) أنموذجا – ، الاستاذ الدكتور سيروان عبد الزهرة الجنابي – الاستاذ المساعد الدكتور صادق فوزي النجادي ، مجلة مركز دراسات الكوفة ، العدد ٤٣ ، ٢٠١٦ م : ١١٤ .

(٤٧) تبيين المعاني : ٤٤٥ .